صاحبة الأدب العربي الطبعة الثانية التوزيعية

ابراهيم الكاتب

للدكتور زكي مبارك

الكتاب والمؤلف — جناية المازني على موهبته الشعرية وعلى أسلوبه في الانشاء — ضياع المازني الشاعر فما مصير المازني الكاتب ؟ — المواهب تلاحق أصحابها ولو فروا منها إلى شعاب الجبال — المازني الشهيد — من إبراهيم الكاتب ؟ — الحب في نظر وزارة المعارف

الكتاب والمؤلف

يقع الكتاب في ٣٨٤ صفحة بالقطع الصغير ، وثمنه عشرة قروش ، وهو يطلب من مكتبة عيسى الحلبي بالقرب من مسجد الحسين .

والمؤلف لا يحتاج إلى تعريف ، فهو الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني أحد أقطاب الأدب الحديث

ولكن شهرة المازني في مصر وفي سائر الأقطار العربية لا تعفينا من النص على خصائص ذاتية لم يعرفها القراء من قبل وإن كان المازني لم يترك مجالاً لمن يريد أن يتحدث عنه بإيجاز أو إطناب ، فأشعاره ومقالاته تسجل ما فيه من محاسن وعيوب

وهنا يحتاج الكلام إلى تقييد ، فالمازني مغرى بالسخرية من نفسه ، وقد يتوهم من لا يفهم أنه لا يقول عن نفسه إلا الحق وذلك وهم فظيع ، فهذا الرجل من أهل الجد الرزين ، وله مبادئ أدبية وقومية يحرص عليها حرص الأبطال ، وأقل ما يوصف به المازني أنه « رجل شهم » وهو من عناوين المروءة في هذه البلاد

عرفت المازني معرفة أدبية لا شخصية في أعوام الحرب الماضية ، وكان قد أخرج كتاباً في نقد « حافظ ابراهيم » وكان نقد حافظ في تلك الأيام يعد من شواهد التفوق . ثم زاد اهتمامي به حين علمت أن حافظ ابراهيم كانت له يد في إخراج المازني من وزارة المعارف « وأنا هنا أحكي كلاماً قاضت به المجالس في ذلك العهد بغض النظر عما فيه من صحة أو بطلان »

ثم جاءت فرصة رأيت فيها المازني وجهاً لوجه في سنة ١٩٢٢ ولكن كيف ؟

كان الأستاذ عبد القادر حمزة اشترك مع عبد اللطيف بك الصوفاني — رحمهما الله — في إخراج جريدة الأفكار بصورة تجمع بين مقاصد الوفد المصري ومبادئ الحزب الوطني ، وكان عبد القادر ينظر إليّ بارتياب لصلتي الوثيقة بالحزب الوطني ، فكان يخفي عني أسماء المحررين الذين يساهمون في التحرير من بعيد ، ومن هؤلاء كاتب تنشر له « الأفكار » سلسلة من المقالات الرائعة بعنوان « الأسناد المتداعية » فمن ذلك الكاتب ؟ من ذلك الكاتب ؟ ليتني أعرف !

وفي ذات يوم دخلت على الأستاذ عبد القادر حمزة أبلغه ملاحظات الصوفاني بك على بعض ما في « الأسناد المتداعية » من آراء فابتسم وقال : إسأل الأستاذ ! فنظرت فرأيت المازني في حال تستوجب الرثاء ، فقد كان داعي العينين ، وكان كيانه يشهد بما يعاني من إعياء ، وكذلك عرفت أن ابراهيم المازني هو صاحب « الأسناد المتداعية »

وبعد خمسة عشر عاماً من ذلك التاريخ عرفت المازني خبراً يشبه هذا الخبر الغريب ، وحياة هذا الرجل كلها غرائب

كنا زميلين في تحرير جريدة البلاغ ، ولم يكن بيننا ما يقع عادة بين الزملاء من التنافس المكبوت ، فأسرعت إليه مرة أن عندي موضوعاً أنهيب الكتابة فيه ، لأنه قد يضايق فضيلة الشيخ المراغي ، وهو إعلان الرسائل التي تُنال بها العضوية في « جماعة كبار العلماء » ، وبينتُ له أن من الواجب أن يكون حال تلك الرسائل شبيهاً بحال الرسائل التي تنال بها الدكتوراه من الجامعة المصرية ، فهي تُطبع وتُنشر ليعرف الجمهور أن الجامعة لا تعطي الألقاب العلمية بدون استحقاق ، فما الذي يمنع أن يكون الأمر كذلك مع « كبار العلماء » ؟ !

وطرب الأستاذ المازني لهذه الفكرة وقال إنه سيذيعها بالنيابة عني ، وكان مفهوماً أنه سيذيعها على صفحات « البلاغ » فانا وقتئذ

رأيتها منشورة بعد أيام في جريدة « الأهرام » بدون إمضاء فعرفت من جديد أن المازني بروحين أو أرواح ، وعرفت أن الذي

كان يراسل « الأفكار » وهو فى « الأخبار » هو نفسه الذى يراسل « الأهرام » وهو فى « البلاغ » . ثم تعقبته فعرفت أن بينه وبين الأستاذ أنطون الجميّل صلات ، وأنه ينشر فى « الأهرام » أشياء بدون إمضاء ، رعاية لمكانه فى « البلاغ »

جناية المازنى ...

لا يحتاج القارئ إلى معرفة الأسباب التى استوجبت أن يتحرر المازنى من خدمة الحكومة المصرية ، وكان منذ أكثر من ثلاثين سنة أستاذاً بالمدارس الثانوية . وكان الظن أن يصير من أقطاب وزارة المعارف ، لو صبر على ما توجب الحياة الرسمية من تكاليف خفاف أو ثقال : . . لا يحتاج القارئ إلى معرفة تلك الأسباب ، لأن المازنى لا يصلح أبداً لحياة الهدوء والاطمئنان . ولو أجلسناه على كرسى الوزارة لخلع نفسه بعد لحظات ، ليقول فى الوزارة ما يشاء ، وليغمز الرسميين كما يريد

وقد اشتغل المازنى بالتعليم فى المدارس الأهلية ، ولعله أنشأ لنفسه مدرسة لم تظفر بطول البقاء . ومن المؤكد عندى أن « الكاتب » هو الذى أضاع « المدرس » ؛ فما كاد يرى يوارق النضال السياسى حتى اندفع إليه بقسوة وعنف ، وكانت باكورة مقالاته السياسية رداً على المرحوم إسماعيل أباظه باشا . وكان هذا الرجل على جانب من القوة والعمق ، وكان لا ينشر شيئاً إلا بعنوان : « بيان لا بدّ منه » ، فرد عليه المازنى فى جريدة « النظام » بمقال عنوانه : « لا بدّ مما ليس منهُ بدّ »

ومضى المازنى ينشر فى الجرائد مقالات سياسية فى تأييد الخطة الوفدية . وجاء « مشروع ملنر » وكان للصحفيين الوفديين فى تأييده مجال — وكانت المعارضة فى ذلك الوقت بيد الحزب الوطنى — ثم ظهر مفاجأة مقالان فى نقد ذلك المشروع لكاتبين وفديين ، هما المازنى والعقاد ، فدعانى الأستاذ محمد المهياوى إلى التعليق على هذين المقالين . وكان رأيه أن ذلك صدع فى بناء الهيئة الوفدية . ولكن شجاعة المازنى والعقاد أوجبت أن أخصهما بكلمة ثناء

وجاء الخلاف بين أمين الرافعى وسعد زغلول ، فاندفع المازنى فى الهجوم على الوفد . وكانت مقالاته غاية فى القوة البيانية ، وفى حرارة أخطر من الجمر المتوقد ، بحيث لا يشك قارئ فى أن « الكاتب » سيعادى الوفد إلى آخر الزمان ، ولكن هذا « الكاتب » الذى يعادى الوفد علانية فى جريدة الأخبار هو نفسه « الكاتب » الذى يزور جريدة الأفكار كل صباح ويقدم إليها فى تأييد الوفد أشياء ! ؟

ومرّ زمنٌ قصير فنرى المازنى يعطف على الجريدة الرسمية للحزب الوطنى ويصادق الشيخ عبد العزيز جاويش . ثم يثب فجأة فينتقل إلى حزب الاتحاد ويزامل الدكتور طه حسين فى تحرير جريدة « الاتحاد » ، مع انعطافات خفية يغمز بها هذا الحزب فى جريدة « الأخبار » . ثم ننظر فنراه مع الأحرار الدستوريين فى صحبة الدكتور محمد حسين هيكل رئيس تحرير « السياسة » ، ونلتفت فنراه انتقل إلى « البلاغ » ، وبوصوله إلى « البلاغ » خطرت له فكرة الاستقرار الموقوت ! ؟

وفى أثناء هذه التنقلات السياسية كانت للمازنى تنقلات أدبية ، فكان يرسل إلى المجلات ما تقترح عليه . وقد أنشأ لنفسه مجلة كما كان أنشأ لنفسه مدرسة ؛ ولكن المازنى رجلٌ ملول ، وإنشاء مدرسة أو مجلة يحتاج إلى شمائل تبغض للملال

ولم يقف المازنى عند هذه المراحل من التنقل السريع ، فخلق لقلبه وعقله مجالات جديدة فى الحجاز والشام والعراق ، فهو من أعرف الناس بالتيارات الفكرية والسياسية فى أكثر البلاد العربية

أرانى أطلت من غير طائل ، فماذا أريد أن أقول ؟

أريد أن أهوى بيدى على رأس المازنى فأحطمه بلا ترفق ، عقاباً على ما صنع بنفسه بلا ترفق ! ؟

كان المازنى من أكابر الشعراء ، وكان يستطيع أن يمد الشعر بقوة روحية وذوقية تصل ما انقطع من لوامع هذا الفن الجميل

ولكن المازنى الذى « انشغل » بالكتابة فى جميع الأوقات وبجميع الأحزاب لم يعد يجد الفرصة للغناء ، ولا بد للشعر من غناء . والغناء يوجب الخلوة إلى النفس من حين إلى حين ؛ ومتى يخلو إلى نفسه من يعانى ضجيج المجتمع السياسى فى الصباح والمساء ، ومن عوّد نفسه الأنس بالقيل والقال فى الكبائر والصغائر من شؤون هذا المجتمع الصخّاب ؟

وهنا يظهر انخداع المازني أو خداعه ، فهو لا يقول إنه مشغول بالكلام عن الفناء ، وإنما يكابر فيزعم أنه لم يبق للشعر في الدنيا مكان ، وأن الشعراء ليسوا إلا جماعة من الحمق والمجانين !

وحول هذه القضية ثارت الخصومة بيني وبينه على صفحات البلاغ حين ظهر ديواني في سنة ١٩٣٤ ، وهي خصومة مسّت قلب المازني ، وكان من المحتمل أن تكون لها عواقب سود ، ولكن الرجل تراجع حين عرف أن غضبه لم يقم على أساس

وبدأ عوام حديثه بأني انصرفت عن الشعر فحلق في وجهي حلقة الذهول وهو يصرخ : (أنت تبت ! أنت تبت !)

وكذلك يرى المازني أن الانصراف عن الشعر توبة ، وكأنه يجهل أنه أساء إلى وطنه إساءة ستجعله من أهل النار يوم يقوم الحساب ، فضياع شاعر مثل المازني ليس إلا نكبة وطنية . لا جزاه الله إلا بما هو له أهل !

ضاع المازني الشاعر ، فما مصير المازني الكاتب ؟

بدأ المازني حياته الكتابية بالطريقة الجاحظية ، وهي تقوم على أساس الازدواج ، وقد وفى المازني لهذه الطريقة أصدق الوفاء في أمد يزيد على عشر سنين ، وكان عهده في رحاب هذه الطريقة أجمل عهوده الأدبية . فقد كان نموذجاً للكاتب الفنان ، وكان بناء الجملة على سنان قلمه غاية في المتانة والجمال

ثم جنى المازني على نفسه بالكتابة اليومية ، ولكن كيف ؟ يدخل الجريدة فيتحدث ويتحدث ثم يتحدث إلى أن يضيع الوقت وإلى أن تنفد قواه ، وفي آخر لحظة يكتب المقال المطلوب بأي أسلوب ، وكذلك صار المازني يكتب كما يتحدث ، وبين الكتابة والحديث مراحل طوال

ثم ماذا ؟ ثم ابتدع المازني طريقة جديدة هي كتابة أكثر مقالاته وقت إنشائها بالكتاب ، فينشئ المقال على أصوات : طقْ طَقْ ، طَقْ !!

هل فهمتم ما أريد ؟

المازني اليوم لا يكتب كما نكتب بقلم ومداد وقرطاس ، ليستطيع المحو والإثبات كما نستطيع ، وإنما تدور أنامله على المكتاب يوحي من رأسه الموهوب ؛ فيخرج المقال وهو كلام لا إنشاء

فمن هاله أن يرى بناء الجملة عند المازني الجديد يخالف بناء الجملة عند المازني القديم فليذكر هذا التاريخ من حياة هذا الفنان

ولكن ...

ولكن المواهب تلاحق أصحابها ولو فرّوا منها إلى شعاب الجبال ، فالمازني أديب موهوب ، وهو كتلة من العواطف والأحاسيس ، ومواهب هذا الرجل لن تتركه بمأمن ، وسيظل المازني هو المازني ، ولو انتقل من تسطير مقالاته على المكتاب إلى تسطيرها على الهواء

ولعل لله حكمة فيما صار المازني إليه ، فهو الشاهد على أن الفطرة أفضل من الفن ، وهل الفن إلا الصدق في النقل عن الطبع ؟

المازني الجديد فنان بأسلوب جديد ، وسيكون له مكان في تاريخ الأدب العربي ، فسيقال حتماً إنه عاون على حماية اللغة الفصيحة من عوادي الجمود

لقد بدا للأستاذ محمود تيمور أن يؤلف بعض الأقاصيص باللغة العامية ليغزو قلوب الطبقات الشعبية ، فهل وصل إلى ما يريد ؟

إن كتابة المازني — وهي غاية في إيثار الفصيح — أسهل وأوضح من كتابة تيمور العامية ، ولو ترك مصير اللغة إلى من يخطبون ودّ العوام لصارت إلى البلبلة ثم الفناء

والأستاذ محمود تيمور له يوم ، وسنلقاه بعد قليل ، فله فوق هذه المشرحة مكان

المازني الشهيد

رأينا المازني في هذه الصفحات إنساناً يتنقّل من أفق إلى آفاق . فهو مدرس أولاً ، وشاعر ثانياً ، وكاتب ثالثاً ، ورأيناه يساير جميع المبادئ وجميع الأحزاب ، فهل نعدّه من أهل الرياء ؟

لا بدّ مما ليس منه بد —

لا بد من أن نقال في هذا الرجل كلمة الحق ، فمن الإجرام أن نترك أدباءنا تحت حماية الأقاويل والأراجيف ، وهم صوت مصر في الشرق

المازني الذي عرفته رجلٌ صادق إلى أبعد الحدود ، صادق في البغض وصادق في الحب ، صادق في الجد وصادق في المزاح

كان صادقاً في تأييد الأحزاب التي أيدها بالقلم واللسان . كان وفدياً صادقاً وهو يؤيد الوفد المصري ، وكان وطنياً صادقاً وهو يؤيد الحزب الوطني ، وكذلك كان حاله مع الدستوريين

والاتحاديين ، ولو بدا له أن يساوم الشيطان لبلغ غاية الصدق في تأييد الشيطان !

هذا رجل يعيش بأعصابه وإحساساته ، وقد يكون لبلائه باحتراق القلم تأثير في تقلباته النفسية والوجدانية . وما ظنكم برجل يكتب كل يوم فيستنفد ما يملك من بواعث القرار والهدوء ؟

وأعجم على الغرض الذي أرمي إليه فأقول : هذا رجل جنى عليه قلمه ، وجنى عليه إحساسه ، فلم يعرف قيمة الصبر على الانحياز إلى إحدى الجبهات ، في زمن لا يعيش فيه المفكرون إلا بأسنة من العصبيات السياسية أو الاجتماعية

وزارة المعارف نسيت المازني ، فبينها وبين صحبته القديمة أعوام وأجيال

والأحزاب السياسية لا تذكر المازني ، فقد تقطّع ما بينه وبينها من أسباب

لا يعرف المازني غير قرائه وهم أقوام لا حول لهم ولا طول ، فإلى من يتوجه هذا الرجل إذا بدا له أن يقصف قلمه في ساعة ملال ؟

الموظف الذي ينتفع بمرور الأيام في احتساء القهوة والتأشير على بعض الأوراق يواجه الشيخوخة وله معاش يضمن له الراحة والاطمئنان

والمتجرون في التراب يجمعون الألوف ، وحدّث ما شئت عن المتجرين في البهتان !

فما مصير « إبراهيم الكاتب » وقد قضى نحو أربعين سنة في صحبة القلم والقرطاس ؟ ما مصيره وقد عادى الجميع في سبيل رسالته الأدبية ؟

المازني حساس إلى الحد المزعج ، وهو يغتم حين يرى اسمه « إبراهيم » وضعتْ فيه ألف بعد الراء ، فهو عند نفسه « إبرهيم » لا « إبراهيم » والجنون فنون !

وهذا الإحساس المرهف هو الذي صير هذا الكاتب إلى ما وصفنا في هذه الصفحات ، فهل من الإسراف أن نطالب الدولة برعاية المصابين لمن يكونون في مثل حاله من العناء بحرفة الأدب والاكتواء بنار الكتابة كل يوم أو كل أسبوع في آماد طوال لا تصلح بعدها النفس لانتهاج مذهب جديد في الحياة المعاشية ؟

إن الذين صدقوا في خدمة الأدب آحاد ، لا عشرات ولا مئات ، فهل تعجز الدولة عن تدبير معاش لأولئك الآحاد حين يطيب لهم أن يستريحوا من متاعب البيان ؟

من إبراهيم الكاتب ؟

إبراهيم الكاتب قصة عرامية تفرعت إلى شجون وصفية واجتماعية ، وقد تحدث المازني في المقدمة عما سلك من طرق التأليف ، بإسهاب يغني عن النص على ما فيها من مقاصد وأغراض . إنما يجب النص على مسألتين سلك فيهما المازني مسلك التحريف ولا أقول التضليل !

أما المسألة الأولى فهي إصراره على أن إبراهيم الكاتب غير إبراهيم المازني ، وحجته أن إبراهيم الكاتب يتلقى الحياة باحتفال ، أما إبراهيم المازني فيتلقى الحياة بغير احتفال (؟ !)

وأقول إني صحبت المازني أعواماً في جريدة البلاغ وأياماً في مدينة بغداد ، فما رأيت أشد منه احتفالاً بالتوافه من شؤون الحياة ، فهو يغضب ويثور لأوهى الأسباب ، فكيف يكون حاله فيما يمس جوهر المنافع الحيوية ؟

أما المسألة الثانية ، فهي الصفحات المنقولة حرفيًا عن كتاب « ابن الطبيعة » ، ويقول المازني : إن هذا توارد خواطر لا سرقة أدبية ؛ ويقول الأستاذ علي أدهم : إن المازني نقل هذه الصفحات متعمداً ليجد الشاهد — عند اللزوم — على أن توارد الخواطر هو الأصل فيما يُنسب إليه من سرقات ، وهل من المعقول أن يسرق الكاتب خمس صفحات ؟ !

وهنا نعرض فكاهة تستحق التسجيل :

كنا في جريدة (البلاغ) في الأسبوع الأول من قدوم السير « لامبسون » ، وهو رجل فارع الطول ، ورأت إحدى الجرائد الإنجليزية أن تنص على طوله ، فنشرت جزءا من صورته في الصفحة الأولى وقالت : إن البقية في الصفحة الثانية ! ! !

فقال المازني بغير وعي : ما الذي يمنع من سرقة هذا المعنى ؟ !

واتهام المازني بالسرقات الأدبية معروف ، ولكن هذا لا ينقص من قدرته البيانية ، فلعله أول مترجم في مصر يوهمك وهو يترجم أنه الكاتب الأصيل

عند المازني عبارات كثيرة مجتلبة بأخيلة أجنبية ، ولكنها لا تَرِد في كلامه إلا وهي مشبوبة بإحساسه الخاص ، فهو يستأسر الصفحة والصورة قبل أن يفكر في السرقة أو النقل ... فهل ترانى أحسنت الدفاع عنك يا صديقي ؟

الحب فى نظر وزارة المعارف

قصة « إبراهيم الكاتب » قصة غرامية ، وفيها ألوان من اضطرام العواطف والأحاسيس ، فكيف جاز لوزارة المعارف أن تقررها لمسابقة الأدب العربى بين طلبة السنة التوجيهية ، مع أن هذه الوزارة كان يؤذيها أن يكون فى المحفوظات المقررة شىء من الغزل والتشبيب ؟

تلك وجهة جديدة فى وزارة المعارف ، فهل تراها بمنجاة من الانحراف ؟

ولكن ، ماذا جنت وزارة المعارف فى عهودها السوابق من إخفاء قصائد الحب عن التلاميذ ؟ هل جعلتهم أقوى من تلاميذ انجلترا وألمانيا ، والحبُّ عند هاتين الأمتين له فى جميع النصوص الأدبية مكان ؟

لوزارة المعارف عندنا صوت فى إدارة الإذاعة اللاسلكية ، فهل اعترضت على أغانى الحب ؟ ! وكان لوزارة المعارف رأى فى توجيه الفرق التمثيلية ، فهل اعترضت على الروايات التى يقع فيها تقبيل وعناق ؟ ؟

آن لوزارة المعارف أن تعرف أنه لا موجب للرب من المطالب الروحية ، وأن الحزم كل الحزم فى أن تتولى هى تربية العواطف فى صدور التلاميذ ، لا أن تترك عواطفهم لرياضة الجهلة من السفهاء

المحرّم هو الإسفاف فى تصوير الشهوات ، أما تشريح عاطفة الحب باعتبارها عاطفة إنسانية ، فهو غرضٌ يوجبه التعليم والتثقيف .

وما قيمة الحرص على إخفاء الجمال مصورًا فى قصيدة وجدانية ، وهو يُعرَض كل لحظة فى شوارع القاهرة ، وقد يباع بلا ميزان ؟

كونوا أساتذة التلاميذ فى جميع الشئون ، واحترسوا من تركهم تحت رحمة الأهواء ، واعلموا أن شغف التلاميذ بالنظر فى أحاديث الحب يرجع إلى إصراركم على القول بأنه حرام لا مباح ، ممنوع لا قيل . كل ممنوع مَتبُوع

وسلامٌ على إبراهيم ـ إبراهيم الكاتب ـ من صديقه الحميم :

زكى مبارك

وزارة المعارف العمومية

مراقبة الامتحانات

إعلان

قررت الوزارة اعتباراً من هذا العام تخصيص وقت مستقل للاجابة على الإنشاء فى امتحان اللغة العربية لشهادة الثانوية القسم الخاص وعلى إدخال تعديل على وضع الأسئلة الخاصة بالانشاء فيختبر الطلبة بجانب موضوع الانشاء المعتاد فى أحد الكتب الآتية على حسب اختيار الطلبة .

وسيخصص لموضوع الانشاء المعتاد ١٥ درجة وللاختبار فى الكتاب ٥ درجات

فى شعبة الآداب : ـ يختار الطالب أحد الكتابين الآتيين :

١ ـ رباعيات الخيام السباعى

٢ ـ الجزء الأول من أمراء البيان للأستاذ محمد كرد على بك

فى شعبتى العلوم والرياضة :ـ أحد الكتابين الآتيين:

١ ـ الفصل الرابع من الكتاب الأول من مقدمة ابن خلدون (فى البلدان والأمصار وسائر العمران وما يعرض فى ذلك من الأحوال)

٢ ـ الجزء الأول من أشهر مشاهير الاسلام لرفيق بك العظم ٨٧٣٧